مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤م

الحذف بين الوظيفة النحوية والدلالة الشعرية
في ديوان (البحر والضفاف) للشاعر يوسف أبو سعد

د/ محمد بن إبراهيم العمير(*)

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرة الحذف نحويا ودلاليا عند الشاعر يوسف أبو سعد في ديوانه (البحر والضفاف)، وذلك باختيار نماذج من هذا الحذف ودراستها في سياقها الذي وردت فيه، وقد قسمته مقدمة وتمهيدا ومبحثين وخاتمة، استعرض التمهيد: التعريف بالديوان وبالشاعر، ودرس المبحث الأول: الحذف في الجملة الاسمية، متمثلا في حذف المبتدأ، وحذف الخبر؛ باعتبارهما ركني الجملة الاسمية، ودرس المبحث الثاني: الحذف في الجملة الفعلية، متمثلا في حذف كل من الفعل والفاعل والمفعول به؛ لأنها مرتكزات الجملة الفعلية، وتوصل البحث في خاتمته: إلى أن الشاعر استعان بالحذف في كثير من المواضع ليبرز المعاني التي أرادها، مع المحافظة على وزن الأبيات التي وقع فيها الحذف، وأنه أكثر من حذف المبتدأ إذا كان معلوما من السياق، أو دل عليه دليل، كما حذف الخبر، في حالة الجواز لدليل دل عليه، وفي حالة الوجوب بعد (لولا)، واتخذ حذف الفعل عنده أنماطا نحوية ثلاثة؛ إذ حذفه وجوبا قبل الفاعل الواقع بعد (إذا)، ومع مصدره النائب عنه، وجوازا حين دل عليه السياق، واستخدم صيغة الفعل الذي لم يسمّ فاعله لدلالات أراد إيصالها -بما يتناسب مع سياق الأبيات التي وقع فيها-، وحذف المفعول به لتتسع دائرة دلالة الفعل باتساع دائرة تقدير المفعول.

الكلمات المفتاحية: الحذف، النحو، الدلالة، الجملة الاسمية، الجملة الفعلية، المبتدأ، الخبر، الفعل، الفاعل، المفعول به، البحر والضفاف، يوسف أبو سعد.

Abstract :

This research aims to study the phenomenon of deletion in nominal and verbal sentences in the poetry of Yusuf Abu Saad in his Diwan: (The Sea and the Shores) by selecting examples of this deletion and studying them grammatically and semantically in their context. The research is divided into , an introduction, a preface, and two chapters .The preface presents an overview of the Diwan and the poet.The first chapter studies the deletion of the subject and predicate as the two main components of the nominal sentence .The second chapter studies the deletion of the verb, subject, and object because they are the foundations of the verbal sentence.The research concludes that the poet used deletion in many places to highlight the meanings he intended while maintaining the meter of the verses in which the deletion occurred .He frequently deleted the subject when it was clear from the context or indicated by a clue .He also deleted the predicate in cases where it was permissible or obligatory after [lawla] .The deletion of the verb took three grammatical patterns (throughout the poet's Diwan): obligatory deletion before the subject after [itha]. With its source acting as its substitute . permissible deletion when indicated by the context . The poet also used the passive voice to convey certain and specific meanings.

Key words: deletion, nominal sentence, verbal sentence, subject, predicate, verb, subject [as mubtada , or as fa'el], and object.

(*) أستاذ النَّحو والصَّرف المشارك - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن من خير ما يُظهِر الظواهر اللغوية ويبرزها: تطبيقها على النصوص البليغة من شعر ونثر أدبي، وظاهرة الحذف في اللغة من تلك الظواهر التي لها أبعادها ودلالاتها، وقد أردت أن أبرز هذه الظاهرة بدارستها في ديوان شعري؛ لقناعتي بأن الشاعر أحوج من الناثر إلى ما تتيحه له اللغة من ظواهرها المختلفة؛ لأنه مقيد بقيود يفرضها عليه نظام القصيدة، وأردت أن تكون الدراسة لشاعر معاصر من البيئة التي أعيش فيها؛ لما يمثله ذلك من القرب الزماني والمكاني، فوقع الاختيار على الشاعر يوسف أبو سعد رحمه الله، ولكثرة دواوينه الشعرية اخترت ديوانا من آخر دواوينه ظهورا وهو ديوان (البحر والضفاف).

ولكثرة الحذف في هذا الديوان اقتصرت على ما ورد فيه من حذف للمبتدأ والخبر؛ إذ هما ركنا الجملة الاسمية، والفعل والفاعل والمفعول به؛ لما تمثله من مرتكزات للجملة الفعلية.

وتكمن مشكلة الدراسة في البحث عن أثر الحذف في إبراز المعنى الذي يقصده الشاعر، ودوره في إقامة الوزن واستواء القافية.

وتهدف الدراسة إلى بيان ما أتاحه النظام اللغوي من الحذف، والكشف عن مواضعه في الديوان، وأثره الدلالي، ومدى اتفاقه مع القاعدة النحوية.

وتجيب الدراسة عن السؤال التالي: هل استفاد الشاعر من الحذف الذي أتاحه له نظام اللغة، وهل اتفق في تطبيق ذلك مع القاعدة النحوية؟

وهنا أشير إلى الدراسات السابقة، ومن أبرزها: عوارض التركيب في الجملة العربية – دراسة نحوية دلالية – معلقة طرفة بن العبد أنموذجا، لعبد الفتاح الشتيوي، في مجلة كلية الآداب بجامعة أسيوط، العدد ٦٣، ٢٠١٧م، حيث استعرضت الدراسة دلالات العوارض التركيبية من: زيادة وحذف وفصل، وتقديم وتأخير، في معلقة طرفة بن العبد.

ودراسة أخرى بعنوان الحذف ودوره الدلالي في شعر ابن مطروح، لمحمد عبد الحليم عثمان، في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة قناة السويس، العدد ٣٦، ٢٠٢١م، وقد تعرضت لحذف المبتدأ والخبر، وخبر إن ولكن وليت، وحرف النداء، عند ابن مطروح.

والدراستان السابقتان تختلفان عن هذه الدراسة في المباحث والتطبيق، فالدراسة الأولى لم تقتصر على الحذف، بل تعدته إلى الزيادة والفصل والتقديم والتأخير، واتخذت من معلقة طرفة بن العبد محلّا للتطبيق، والدراسة الثانية ركزت على حذف المبتدأ والخبر وخبر الحروف الناسخة وحرف النداء، واتخذت من شعر ابن مطروح محلّا للتطبيق، أما هذه الدراسة فبحثت حذف المبتدأ والخبر والفعل والفاعل والمفعول به، في ديوان البحر والضفاف للشاعر يوسف أبو سعد.

وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي.

وقسمت هذا البحث: مقدمة، وتمهيدًا، ومبحثين.

خصصت التمهيد للتعريف بالشاعر وديوانه، والكلام عن ظاهرة الحذف.

وجعلت المبحث الأول للحذف في الجملة الاسمية متمثلا في: حذف المبتدأ، وحذف الخبر.

والمبحث الثاني للجملة الفعلية: في حذف الفعل، وحذف الفاعل، وحذف المفعول به.

ثم جاءت الخاتمة لتعرض أهم النتائج التي وصل إليها البحث، وبعدها التوصيات.

ومن الله التوفيق، وعليه الاتكال والاعتماد.

تمهيد:

في التعريف بالشاعر يوسف بن عبد اللطيف أبو سعد، وبديوانه (البحر والضفاف):

ولد شاعرنا في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء عام ١٣٥٨هـ، وتخرج من كلية الآداب بجامعة الرياض في قسم اللغة العربية عام ١٣٩٠هـ، أحب الأدب منذ نعومة أظفاره، وخاصة الشعر، ونظمه قبل انتهائه من المرحلة الابتدائية، وتأمل في جماليات النص الشعري، ومواطن الإبداع في شعر الشعراء الفحول، في مختلف العصور الأدبية.

انضم إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية عضوا عاملا، وإلى نادي المنطقة الشرقية الأدبي منذ تأسيسه، وألقى قصيدة في حفل افتتاحه، وقد أتاح له ذلك التعرف على كوكبة من الأدباء البارزين، والاحتكاك بهم، مما شكل له رافدا فكريا وأدبيا ساعده على عدم الركود، وفتح له مجال التحليق في آفاق رحيبة، مكنته من الإحاطة بالمستجدات الثقافية، وجعلته قادرا على الإسهام بنتاجه الأدبي في مجالات كثيرة، والنشر في المجلات والصحف منذ عام ١٣٨٢هـ.

أصدر عشر مجموعات شعرية، من آخرها صدورا ديوان (البحر والضفاف) الذي بين أيدينا، حيث صدر عام ١٤١٧هـ، أي قبل وفاة شاعرنا بعامين، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة(١).

وشاعرنا في ديوان (البحر والضفاف) ينوع بين أغراض الشعر المختلفة، فمن أبيات للطفولة، إلى إبراز خفقات قلبه وانطباعاته، إلى التعبير عن مشكلات الأمة، إلى رثاء والدته، إلى مشاركاته الشعرية الفاعلة في المناسبات الأدبية والثقافية المختلفة، ولم يُخْلِ شاعرنا ديوانه من بعض قصائد التفعيلة.

وقد أبدع الشاعر في التعامل مع القصائد الطوال في الديوان؛ إذ قسمها أقساما، وجعل لكل قسم عنوانا؛ حتى لا يتطرق الملل للقارئ بسبب طول القصيدة، وفي صفحات الديوان -المقاربة لثلاث مئة صفحة- يبدع الشاعر في توظيف ما تتيحه له اللغة من أدوات للوصول إلى مقصوده ومراده، بما في ذلك توظيفه لظاهرة الحذف.

---

(١) انظر: الاتجاه الرومانسي في شعر يوسف بن عبداللطيف أبي سعد: فوزية الرويشد، رسالة ماجستير في جامعة الملك فيصل، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ١٥١- ١٥٣

وقد لقي الحذف اهتماما كبيرا وعناية بالغة في كتب النحو وكتب البلاغة، في مجالات متعددة، بما يتناسب مع طبيعة كل من ذينك العلمين، فدراسة النحو منصبة على الكلام المفيد، الذي يفهم المخاطب إفادة يحسن السكوت معها، والحذف يسقط جزءا من هذا الكلام، فلا يجوز الحذف عند النحاة إلا إذا فهم من الكلام، وقام عليه دليل، "إذ لا حذف دون قرينة، ومن أجل ذلك فالحذف يحتاج إلى قرينة تدل على المحذوف"(١)، والمقصود بذلك أن تكون العناصر الأخرى في الجملة كافية في إفادة المعنى المقصود، يقول ابن الأثير: "واعلم أن القسم الأول -الذي هو الإيجاز بالحذف- يتنبه له من غير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه"(٢).

وأما كتب البلاغة فتتوقف كثيرا عند الأغراض الكامنة وراء الحذف، كالإيجاز والاتساع والتفخيم وغير ذلك، وهذا ما يفيده كلام عبد القاهر الجرجاني في قوله عن الحذف: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"(٣).

وفي قصائد هذا الديوان استخدم الشاعر الحذف كثيرا، بتراكيب متعددة، وصور متنوعة، جاء الحذف فيها مرتبطا بمراد الشاعر، حسب السياق الذي ورد فيه، وسأقتصر في هذه الدراسة على حذف المبتدأ والخبر، في المبحث الأول المتعلق بالجملة الاسمية، وعلى حذف الفعل والفاعل والمفعول به، في المبحث الثاني المتعلق بالجملة الفعلية.

المبحث الأول: الحذف في الجملة الاسمية:

أولا: حذف المبتدأ:

من المواضع التي قد يلحقها الحذف في الجملة العربية المبتدأ -إذا كان معلوما من السياق، ووجد ما يدل عليه-(٤)، والناظر في ديوان (البحر والضفاف) -الذي بين أيدينا- يجد نماذج من هذا الحذف عند شاعرنا في عدد من قصائده، ومنها هذه القصيدة التي قالها واصفا ديوان شعر اسمه (قلبي بين يديك) أهداه إليه ناظمه؛ إذ يقول شاعرنا في وصف ذلك الديوان والثناء عليه وبيان مزاياه:

---

(١) حذف الفاعل واستتاره بين التنظير والواقع الاستعمالي، د. خالد بسندي، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٠، ص ٦

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ (٢/ ٧٤)

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م (١/ ١٤٦)

(٤) انظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: بدر الدين ابن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م (ص: ٨٤)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: بدر الدين بن قاسم المرادي (المتوفى : ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م (١/ ٤٨٥)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: عبد الله العقيلي (المتوفى: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م (١/ ٢٤٤)

يا من زرع الأشعار شجا في حلق الطاغي كالزانه

هذا ديوانك، نبض القلـ ب، قذائف ترشق أوثانه(١)

في قصيدة طويلة أسماها (قلبي بين يديك) باسم ذلك الديوان، وكعادة شاعرنا في عدد من قصائده فإنه قسّم هذه القصيدة الطويلة أقساما وعنون كل قسم منها بعنوان، وجاء هذان البيتان ضمن قسم عنوانه (بركان الغضب)، فالشاعر في البيت الثاني يصف هذا الديوان الشعري بصدق العاطفة، وبقوة الألفاظ، وحتى يقرِّب هذين الوصفين من بعضهما في السياق ويوقعهما دون أن تتخللهما ألفاظ أخرى استعان بما أتاحته له اللغة من جواز حذف المبتدأ؛ إذ كان معلوما من السياق، فحذف المبتدأ واكتفى بذكر الخبر، وتقدير الكلام (هو نبض القلب)، (هو قذائف ترشق أوثانه).

وفي قسم آخر من هذه القصيدة تحت عنوان (أصالة وإبداع) يقول عن ذلك الديوان أيضا:

شعر يد فنّ تنسجه والأخرى تغزل خيطانه(٢)

فيحذف المبتدأ أيضا هنا للعلم به، ويكتفي بذكر الخبر (شعر)، ولن يجد القارئ صعوبة في تقدير المبتدأ المحذوف بضمير الغائب (هو).

وهذا التركيب –المشتمل على خبر حذف مبتدؤه– نجده قد تكرر في كثير من قصائد الديوان الأخرى، ففي قصيدته (جهاد وربيع) –التي نظمها في حفل تخريج دفعة اجتازت دورات تدريبية– يحذف المبتدأ من قوله:

قدم على درب الجهاد يحثها شوق يتوق تقدما وصمودا(٣)

فبعد أن ذكر الشاعر عددا من المنجزات العلمية المعرفية التي تحققت أخبر بأن هذه المنجزات قدم على درب الجهاد، وابتدأ بيته الشعري بلفظ (قدم) لما تحمله من الدلالة على المضي والتقدم؛ لأن المسير المعتاد لا يكون إلا بواسطتها، وأفاد في الوصول إلى ذلك من جواز حذف المبتدأ؛ إذ كان معلوما من السياق.

وتتكرر الصورة ذاتها في القصيدة ذاتها، فبعد أن ذكر مدينته (الأحساء) وما أحرزته من التقدم، أخبر عنها بأنها:

صرح من الصوان دعم أسه حب العقيدة فاستقام وئيدا(٤)

فحذف الضمير العائد عليها للعلم به، وليبدأ بيته بلفظ (صرح) الذي يدل على الرفعة التي تتناسب مع هذا المقام.

---

(١) ديوان البحر والضفاف: يوسف عبداللطيف أبو سعد، مطابع الابتكار– الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، ص ٦٩

(٢) الديوان ٧٤

(٣) الديوان ٨٢

(٤) الديوان ٨٤

وفي بيتين متتابعين من القصيدة نفسها يستخدم شاعرنا التركيب ذاته، فيفتتح كل بيت منهما بلفظ (روض) الذي يتلاءم تمام الملاءمة مع جو العطاء الذي أشاعه قبلهما، وطعّمه بألفاظ: سقاه، ينبوعه، فجّره، زهره، ظلاله، أنبت، فيقول:

روض يموج الخصب في جنباته أحيا البوار ورقّص الأملودا

روض ترامى في الربوع حشوده أنعم به روضا يموج حشودا(١)

فالولوج إلى الخبر مباشرة وتخطي المبتدأ هو الأنسب في هذا السياق، ولم يكن ذلك ليتم لولا المرونة في النظام النحوي التي أجازت حذف المبتدأ، ولولا توظيف الشاعر هذه الخاصية في قصيدته والإفادة منها لما تم له ذلك.

ويصل هذا التركيب ذروته في قصيدة (عرس النور الأول) التي سطرها الشاعر في افتتاح منتدى أدبي وتكريم أحد الأدباء؛ إذ حذف المبتدأ في ثلاثة عشر بيتا من أبياتها، منها هذه الأبيات الثلاثة المتوالية:

نبع لنا من ربا الأحساء منبجس ما أجمل النبع في الأحساء منبجسا

نبع تدفق فجر الحق منه على شتى البقاع يزيل الليل إن دمسا

نبع على الأرض ثَرّاتٌ جداوله تنجي فؤادا ببحر الغي قد غطسا(٢)

ويستفيد الشاعر من تعاطف الجمل ليحذف المبتدأ المؤخر من الجملة المعطوفة؛ ليستحث ذهن المتلقي أن يقدر مبتدأ يتناسب مع مبتدأ الجملة المعطوف عليها -ضمن الجو العام- في قصيدته (لن تطفئوا مجدي) إذ يقول:

أين التخلف؟ أين ...؟ وانتفضت خوالجهم شعورا(٣)

وبالنظر للصور السابقة التي حذف فيها المبتدأ جوازا نجد ذلك جاء نتيجة للاكتفاء بعنصر واحد في هذا التركيب وهو الخبر، وعدم الاستفادة من العنصر الآخر الذي يتمم المعنى الدلالي، والذي لا يظهر إلا بالإسناد؛ إذ العنصر الواحد لا يفيد إلا بإدخاله في علاقة تركيبية مع غيره، إضافة إلى الإيجاز الذي يفيده الحذف، وما يحدثه من تحريك لذهن المتلقي لتقدير هذا المحذوف، وفقا لما يسمح به نظام اللغة من الحذف، والشاعر أولى من يستفيد مما تتيحه اللغة من ذلك؛ ليستثمره في إبداعه، ويتغلب على القيود التي يفرضها عليه نظام الشعر.

وفي سائر الديوان نماذج أخرى لهذا التركيب، ولأن البحث لا يهدف إلى استقصاء تلك النماذج وحصرها ففيما سبق كفاية، فمن خلال النماذج السابقة التي حُذِف فيها المبتدأ يظهر أن الشاعر

(١) الديوان ٨٤-٨٥

(٢) الديوان ٩٤

(٣) الديوان ١٣٥

استغل ما أتاحه له النظام اللغوي من الحذف، وحذف عنصرا أساسيا هو المبتدأ؛ ليجعل المتلقي يدرك وحده ذلك العنصر المحذوف بالاستعانة بسياق الكلام، وليدرك تلك الدلالات التي تكشف عن: صدق العاطفة في ذلك الديوان الذي تحدث عنه، وقوة ألفاظه، والإبداع الذي صيغ به، والمهمة السامية لتلك الدورات التي تقام بين الفينة والأخرى، والقيمة العالية لها، والنتائج العظيمة التي تحققها، والأثر العلمي والثقافي للندوات الأدبية وما يخالطها من احتفاء بالأدباء يعزز مكانة العلم والأدب في بيئة عرفت بذلك واشتهرت به، والإنكار على من يسم الإسلام بالتخلف وما يوازيه من ألفاظ جمعها الشاعر كلها عندما عطف جملة (أين ...) على (أين التخلف)، ففهمت كل العبارات المتلازمة في مثل هذا السياق.

ثانيا: حذف الخبر:

وكما يسوغ حذف المبتدأ إذا دل عليه دليل، فكذلك يسوغ حذف الركن الثاني من أركان الجملة الاسمية وهو الخبر إذا دل عليه دليل أيضا(١)، وكما تكرر حذف المبتدأ في ديوان (البحر والضفاف) فقد تكرر حذف الخبر أيضا ولكن بمقدار أقل، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر في قصيدته (لن تطفئوا مجدي):

والأخطبوط كأن أرجله سيوف

والنار تزحف والزلازل والخسوف(٢)

فالشاعر يبين ما يكنه أعداء هذه الأمة لها من شر، وما يتربصون بها من مكر، ويبدع في تصوير ذلك بصور تجسد هذا المعنى، إلى أن يأتي بهذه الصور التي بين أيدينا، فيصور أرجل الأخطبوط الكثيرة سيوفا مهلكة، ويعطف عليها جملة يخبر فيها عن النار أنها تزحف، ثم يعطف بجملتين أخريين يذكر في كل منهما المبتدأ ويدع الخبر لتقدير المتلقي بما يتناسب مع هذا المشهد المصوّر.

ويكثر الشاعر من حذف الخبر في قصيدته (عرس النور الثاني) في مقطعها الذي سماه (وشوشات) حين يقول:

هذه هذه أهازيج قلبي صادحات بالحب والإجلال

وشوشات النخيل بعض صداها والسواقي ورفرفات الدوالي

وغناء الهديل بين زهور وارتعاش الأصيل فوق الرمال

---

(١) انظر: شرح المكودي على الألفية في علمي الصرف والنحو: عبد الرحمن بن علي المكودي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م (ص: ٥٣)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبد الله ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت. (١/ ٢١٣)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي الأُشموني (المتوفى: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م (١/ ٢٠٥)

(٢) الديوان ١٣٠

وائتلاف الندى وهمس الأقاحي ونشيد المياه تجري حيالي(١)

فبعد أن أكد المبتدأ (هذه) تأكيدا لفظيا بتكراره أول هذه الأبيات، وأخبر عنه بصيغة منتهى الجموع (أهازيج) ابتدأ في البيت الثاني بطرف من غناء الطبيعة وهي وشوشات النخيل وأخبر بأنها بعض صدى أهازيجه، ثم استرسل بذكر مظاهر غناء الطبيعة الأخرى في جمل متوالية، اكتفى في كل منها بذكر المبتدأ، وحذف الخبر اعتمادا على العلم به من الجملة الأولى؛ ليقدر بمثل خبرها، فكل واحد من هذه الأغنيات هو بعض صدى أهازيجه، فلا تكتمل أهازيجه إلا بائتلاف كل هذه الصور الغنائية، مما أتاح له أن يسرد هذه الصور سردا متواليا بحيث لا يقطع تواليها شيء، دون أن يخل بالنظام النحوي للجملة.

وعلى هذه الشاكلة نجده في قصيدته (سراييفو) عندما يسائلها بقوله:

أيصمت فيك تكبير وذكر ويُقتَل في مصلّاك الإمام

ويُسفَك في حشاك دم زكي ولا شهم يغار ولا همام(٢)

فبعد أن ذكر هذه الجراحات التي حلت بهذا البلد الجريح استنكر عدم وجود شهم يغار على هذه البلاد المكلومة، فذكر المبتدأ (شهم) نكرة وسوّغه بالوصف (يغار)، ثم حذف الخبر المعلوم؛ لئلا يقطع عليه التتابع المتصاعد في هذه الجمل؛ حيث عطف على ذلك جملة أخرى ابتدأها بلفظ (همام) النكرة؛ ليشعر المستمع أن هناك وصفا محذوفا سوّغ الابتداء بها، فيقدره متناسبا مع لفظ (همام) في هذا السياق الذي عُطِف فيه على (شهم يغار)، وحذف الخبر في هذه الجملة أيضا مكتفيا بذكر المبتدأ، كالجملة التي قبلها لأنه بات معلوما من هذا السياق.

فالشاعر -كما نلحظ في هذه النماذج- أفاد من النظام النحوي بما أتاحه من إمكان حذف الخبر، ووفقا لذلك نظم هذه الأبيات التي لم تكن لتستقيم له على وزن الشعر مع المعاني التي أراد إيصالها والدلالات التي دلل بها لولا وجود هذه الخاصية.

ونمط آخر من حذف الخبر وجد في ديوان شاعرنا، وهو حذف الخبر بعد (لولا)، ومن المعلوم أن (لولا) من حروف الشرط غير الجازم، وهي حرف امتناع لوجود(٣)، وقد اختلف النحاة في رفع الاسم بعدها(٤)، أما خبرها فهو كون مطلق، يجب حذفه عند جمهور النحويين، ويعلل ابن مالك وجوب

(١) الديوان ١١٤

(٢) الديوان ١٤٤

(٣) انظر: المقتضب: محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت، د. ت. (٣/ ٧٦)

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: أبو البركات كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م (١/ ٦٠)

حذف الخبر بعد (لولا) بقوله: "لأنه معلوم بمقتضى (لولا) .... إذ هي دالة على الامتناع لوجود، والمدلول على امتناعه هو الجواب، والمدلول على وجوده هو المبتدأ"(١).

ومن المواضع التي ورد فيها هذا التركيب قول الشاعر في قصيدة (واحة الأحلام):

ولولا الأماني التي أرتجيها لما رف في أفقها بيرقي(٢)

فالشاعر يعبر في الأبيات قبل هذا البيت عن طبيعة الحياة، وأنها تتقلب بين النعيم والشقاء، والسرور والحزن، ثم أتى في هذا البيت بصورة تركيبية صدرها بـ(لولا)، مبرزا أثر الأمنيات التي يرجو تحققها في تطلعه للحياة، وتشوفه لها، وقد ذُكِر المبتدأ، وحُذف الخبر، وحذفه هنا واجب بعد (لولا)؛ إذ إنه كون مطلق.

وفي قصيدة (على ضفاف النور) يتحدث الشاعر عن النهضة العلمية في المملكة، والجهود المبذولة في ذلك من قبل ولاة الأمر، والقائمين على التعليم فيقول:

لها الفضل بعد الله لولا ابتدارها لما أقبلت سرّاء وانحسرت ضَرّا(٣)

فالشاعر هنا يبرز أثر المبادرات المبذولة في حصول ما ينفع الناس، والبعد عما يؤذيهم، ولأن الكون عام هنا حذف الخبر وجوبا.

ويستخدم الشاعر التركيب ذاته في قصيدة (عاشق القدس) عند قوله:

وكشفت ما بين الجوانح من هوى غنّى بلفحة ناره السمّار

ما كان أصبرنا على أنوائه لولا التصبر هدنا إعصار(٤)

فيبين أن ما بين جوانحه من الهوى أمثال النار، ولولا تصبره لما استطاع البقاء بسبب ما يلاقيه من ذلك، وهذا المعنى من الامتناع للوجود أفاده حرف الشرط (لولا)، والمبتدأ في هذه الجملة الاسمية: التصبر، بينما الخبر محذوف وجوبا لوقوعه بعد (لولا).

والشاعر في هذه الجمل التي تصدرتها (لولا) سار وفق ما يقتضيه النظام النحوي من وجوب حذف الخبر بعدها إذ كان كونا عامّا؛ فحذف الخبر، وأفاد بذلك أنه استغنى عن شيء معلوم من السياق، وحصّل به مساحة تتيح له التوسع في عرض المعاني التي يريد إبرازها في بيته المحكوم بوزن.

---

(١) شرح تسهيل الفوائد: محمد ابن مالك الطائي الجياني، (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ -١٩٩٠م (١/ ٢٧٦)

(٢) الديوان ٦٢

(٣) الديوان ١٢٣

(٤) الديوان ١٦٦

المبحث الثاني: الحذف في الجملة الفعلية:

أولا: حذف الفعل:

الفعل هو أول ركني الجملة الفعلية اللذين لا يمكن أن تتم الجملة الفعلية دون وجودهما، ولحذف الفعل في النحو العربي أسباب متعددة، وأشكال متنوعة، فقد يكون جائزا إذا قام دليل يدل على ذلك المحذوف(١)، وقد يكون واجبا إذا ناب عنه المصدر(٢)، أو إذا فسر بفعل بعد مجيء الاسم تاليا لأداة مختصة بالأفعال(٣)، وهذه الأنماط الثلاثة وردت في ديوان الشعر الذي بين أيدينا، فمن النمط الأول قول شاعرنا في قصيدته (لن يطفئوا مجدي):

ساروا فرادى للمعارك أو ثبات

يتصايحون: إلى الجهاد، إلى الكفاح(٤)

فالشاعر حذف الفعل الذي تعلق به الجار والمجرور (إلى الجهاد) لدلالة السياق عليه، فهو يتحدث عن مسير وانطلاق إلى المعارك، يعقبه تناد وتصايح، ولتجلية هذه الصورة أفاد الشاعر من الجواز النحوي بحذف الفعل؛ ليتمكن من مواكبة الاندفاع والتسارع المصاحب لهذه الصورة، وترك تقدير المحذوف لذهن المتلقي ليملأه بما ينقدح فيه بعد معايشته سياق هذه الأبيات، ويتكرر الأمر نفسه في الجملة التالية عند قوله (إلى الكفاح).

ومن حذف الفعل الجائز نحويا أيضا قوله في قصيدته (سراييفو) وهو يصف الجرائم التي وقعت على أهلها:

وصاح من الضريح ثدي أم يسيل به الحليب كما البشام

حليب الطفل أهرقه علوج فحان قبيل موعده الفطام(٥)

فهو شبه هنا سيلان الحليب بسيلان البشام، واكتفى بذكر الفعل (يسيل) في الجملة الأولى عن ذكره في الجملة الثانية، لقيام الدليل عليه من الجملة الأولى، ما مكن الشاعر من أن يكمل الصورة التي أراد رسمها دون أن ينكسر البيت ويخرج عن نظام الشعر، ولئلا يورد في الكلام ما هو في غنى عن إيراده.

---

(١) انظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك: برهان الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٦٧ هـ)، المحقق: محمد السهلي، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م (١/ ٣٠١)

(٢) انظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م (٣/ ١٣٦٠)

(٣) انظر: شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (٥/ ١٢٣-١٢٢)

(٤) الديوان ١٣٤

(٥) الديوان ١٤٩

وعلى النمط الثاني ورد عدد من الأبيات، مثل قوله في قصيدته (عرس النور الأول) مخاطبا المحتفى به في ذلك التكريم:

يا شيخ معذرة إن خانني قلمي بي دهشة قلمي في جوها وكسا(١)

فنلحظ الشاعر هنا في خطابه للأديب المحتفى به يعتذر منه عما قد يكون ألمَّ بشعره من قصور في أبياته التي قالها فيه، فالقلم قد يخون صاحبه في التعبير عما يجيش في صدره من مشاعر لجلالة المقام الذي يقوم، فيصاب بالدهشة ولا تسعفه الكلمات، كهذا المقام الذي قامه الشاعر ليزجي كلماته أمام هذا الشيخ الجليل، وليؤكد اعتذاره لجأ إلى المفعول المطلق الذي يؤكد الفعل، وأنابه مناب الفعل مستفيدا من خاصية حذف الفعل إذا ناب عنه مصدره.

ويكرر الأسلوب ذاته في ختام هذه القصيدة للغرض نفسه وهو الاعتذار عما يراه قصورا في قصيدته؛ إذ ألقاها أمام أرباب الأدب وفرسانه الذين يتطامن عندهم كل فصيح من القول مهما علت فصاحته:

عذرا جهابذة الآداب عن فلسي من البيان وتبياني إذا احتبسا

عذرا فطيري مهيض عند أجدلكم لما رآه غدا في العيّ مرتكسا(٢)

وليؤكد هذا المعنى لجأ إلى اثنين من المؤكدات، فأتى بالمفعول المطلق النائب عن الفعل مكررا، وكل من المفعول المطلق والتكرار مؤكد في ذاته، فكيف إذا اجتمعا؟ ومما خدمه في ذلك دون أن يكون في الكلام تطويل وإملال للمتلقي حذف الفعل الملازم لهذا النمط من التركيب.

ويتكرر هذا المشهد من الحذف والتكرار في قصيدته (على ضفاف النور) إذ يقول:

هنيئا لمن نالت أزاهير سعيها وأضفت على زهر العلا زهرة أخرى

هنيئا لمن زفت لأمتها الجنى ومدت لها يمنى تصافحها شكرا(٣)

فالشاعر في تهنئته للفوج الأول من طالبات كلية التربية أراد المبالغة والتأكيد، فاغتنم ما يمنحه إياه الأسلوب اللغوي من تأكيد بالمفعول المطلق، فأتى به نائبا عن فعله –مما يقتضي حذف ذلك الفعل، والاكتفاء بالمفعول المطلق النائب عنه دليلا عليه–، ولما كانت هذه التهنئة ذات شقين، – شق متعلق بما أنجزته المهنأة لذاتها بنيلها ثمرة جهدها، وشق متعلق بما ستقدمه لأمتها من البذل بعد هذا التميز والنجاح– اقتضى منه ذلك تكرار التهنئة، وربط كل تهنئة بأحد ذينك الشقين، وقد أسعفه على الاختصار وعدم الإطالة النظام النحوي الذي يلزم بالحذف في مثل هذه الحالة.

(١) الديوان ٩٣

(٢) الديوان ٩٨

(٣) الديوان ١١٩

والنمط الثالث الذي استخدمه الشاعر مما حذف فيه الفعل: ما كان مبدوءا بأداة مختصة بالأفعال إذا وقع بعدها اسم، فمن ذلك قوله في قصيدة (جهاد وربيع):

وإذا الأمور زها بريق نجاحها وعطاؤها فالرأي كان سديدا(١)

فـ(إذا) أداة مختصة بالدخول على الفعل، فإذا وليها اسم فيكون فاعلا لفعل محذوف يفسره ما بعده، وعدول الشاعر عن ذكر الفعل (زها) بعدها وحذفه، والإتيان بفعل متأخر عنه يفسره مع إيلائها فاعل ذلك الفعل المحذوف وهو لفظ (الأمور) يدل على اهتمامه بشأن هذا الفاعل وشدة عنايته به.

ومثل ذلك قوله في القصيدة ذاتها:

وإذا الحقود تأججت أضغانه صار الوطيس جزاءه المرصودا(٢)

فلما كان تركيز الشاعر على الحقود ذاته أولاه ظرف الشرط (إذا)، وحذف الفعل مكتفيا بدلالة المفسّر عليه، وهو حذف واجب، أفاد منه الشاعر ليمنح كلامه الدلالة التي أراد أن تصل إلى المتلقي وهي في غاية من الظهور والوضوح.

ونجده مرة أخرى يختار هذا الأسلوب الذي حذف فيه الفعل لما يريده من إبراز صفة الكرم في ممدوحه إذ يقول:

شيخ كريم له من طيب معدنه كف رخي إذا كف الزمان قسا(٣)

فلما أراد أن يخلع صفة الكرم على الممدوح وصف كفه بأنه رخي، ويَبْرُزُ كرمه أكثر ما يبرز إذا استصعبت الأمور واشتدت، وحتى يكون الأسلوب متسقا وتظهر الدلالة واضحة قابل كفه الرخيَّ بكف الزمان الذي قسا، مؤثرا بذلك أن يحذف الفعل المرتبط بـ(إذا) ويوليها الفاعل مباشرة، ويأتي الفعل بعده ليفسر الفعل المحذوف دون أي غموض.

فالشاعر في حذف الخبر بأنماطه الثلاثة -الموجودة في الديوان- أفاد من هذا الحذف، وطوّعه لإبراز ما أراد إبرازه من دلالات، وكل ذلك بما يتسق مع النظام النحوي للغة.

ثانيا: حذف الفاعل:

الفاعل هو الركن الثاني للجملة الفعلية، فهو عمدة لا يمكن الاستغناء عنه(٤)، فإن لم يكن اسما ظاهرا فيكون ضميرا بارزا، وإن لم يبرز قُدِّرَ مستترا، فإذا حذف لغرض ما تغيرت تركيبة الجملة،

(١) الديوان ٨٢

(٢) الديوان ٨٦

(٣) الديوان ٩٧

(٤) انظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: شمس الدين الجَوجَري (المتوفى: ٨٨٩هـ)، المحقق: نواف الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م (١/ ٣٤١)

وتغيرت حركات الفعل لتدل على أن الفاعل محذوف(١)، وناب عنه إما المفعول أو الجار والمجرور أو الظرف أو المصدر المختصان(٢)، وفيما يأتي نماذج من ديوان شاعرنا حذف فيها الفاعل وحل محله نائبه، وتغيرت فيها صيغة الفعل ببنائه للمجهول، فمن ذلك قوله في قصيدة (واحة الأحلام)، في قسمه الأول المعنون له بـ(هيام):

وإن قيل أنفاس زهري الفتون تشد نفوس الورى صدقي(٣)

فالشاعر في هذه الواحة يسترسل مع أحلامه، وفي خضم استرساله يؤكد أن كل ما يصل عنها من أخبار إيجابية ينبغي أن يكون محل تصديق بغض النظر عن قائله، وحتى يصل إلى هذه الدلالة استثمر خاصية بناء الفعل للمجهول التي تمكنه من حذف الفاعل، ليكون التركيز على الكلام المقول لا على قائله.

ويواصل استرساله مع أحلامه، في القسم الذي عنوانه (حنين وإصرار)؛ حيث يبين حنينه للأماني التي رسمها، وإصراره على المضي قدما في تحقيقها، وفي تضاعيف ذلك يقول:

وما بي هيام بدنيا اللئام وما كان بي نزوة المحنق

ولكنني حيث يُجْرَى السباق أتوق إلى موضع الأسبق(٤)

فهو يبين سر تطلعه للصورة المثالية التي رسمها في تلك الواحة، فذلك ليس لشغفه بالدنيا، ولا لرغبة عابرة أو هوى، بل لعلو همته، ولأنه يريد أن يتقدم على كل من سواه في معالي الأمور، وحتى يعمم دلالة علو همته وأنه ليس مقتصرا على جانب دون آخر ذكر جملة (يُجْرَى السباق) بصيغة الفعل الذي لم يسمّ فاعله، فنفسه تتوق إلى أن تحرز قصب السبق في أي سباق يمكن أن يكون طرفا فيه، مهما كانت أطرافه الأخرى، وأيا كان مُجْرِي السباق، أو ميدانه الذي يقام فيه.

ويعود الشاعر في آخر قسم من هذه القصيدة والذي عَنْوَنَه بـ(هدهدة) ليوظف الفعل الذي لم يذكر فاعله مرة أخرى على لسان نجمة في المشرق تخاطب خلجات نفسه:

وميضي إذا كفنته السدوف سيُبْعَث حتما فلا تقلقي(٥)

---

(١) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الإله النبهان، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م (١/ ١٥٧)

(٢) انظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: عبد الله بن يوسف ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ، ص ١٨٧

(٣) الديوان ٥٥

(٤) الديوان ٥٧

(٥) الديوان ٦١

فكنّى بوميض النجمة عن بارقة الأمل، ومهما سترت الظُلَمُ الوميض فإنه سيظهر من جديد، ولم يذكر من سيظهره؛ ليبين أن بعث الأمل حقيقة قائمة بذاتها غير مرتبطة بأشخاص، فعمد إلى الفاعل فحذفه، وأناب الضمير المستتر عنه، بعد أن غيَّر صورة فعله إلى صيغة الفعل الذي حذف منه فاعله كما يستلزمه النظام النحوي.

ويتكرر حذف الفاعل في قصيدة (قلبي بين يديك) في أكثر من موضع، ففي القسم المسمى (بركان الغضب) يقول الشاعر:

قد ديس بواقعنا مجد لم يبلغ نجمٌ عمدانه(١)

فمما يجلب الأسى والغضب معا هذه المفارقة التي رسمها الشاعر في هذا البيت، فالمجد العالي الذي لا تبلغه النجوم صار موضع وطء الأقدام، ويبالغ في رسم هذه الصورة باستخدام الفعل (ديس) الذي لم يسم فاعله؛ فالذين داسوا هذا المجد العظيم أشخاص لا وزن لهم ولا قيمة، بل هم نكرات غير معروفين، ولو عُرِفوا فهم أقل شأنا من أن يذكروا، وفي هذا دلالة على عظم المأساة التي حلت بهذا المجد العظيم.

وفي قسم (الشعر قنديل) من هذه القصيدة يعود شاعرنا مرة أخرى مستخدما هذا التركيب في قوله:

أشعارك بالبشرى حبلى فالحق سيبدي برهانه

وسيُرفَع عن صدر العاني همّ يستصرخ أركانه(٢)

فالشاعر هنا يؤكد أن الحق سيظهر، وبظهوره ستزول الهموم عمن يعانيها، ولأن ظهور الحق سنة كونية، وهو مستلزم رفع الهموم والمعاناة فإن رفعها أمر لا بد منه، وكوننا لا نعلم على يد من سيقع هذا الرفع فإن ذلك لا يغير شيئا من هذه الحقيقة، ولإثبات هذه الدلالة حذف الفاعل وأناب عنه المفعول به وهو لفظ (همّ)؛ ليبين أن المعلوم والمؤكّد بظهور الحق هو رفع الهموم وزوالها، لا من يرفعها ويزيلها.

وفي مقطع آخر في هذا القسم من القصيدة يقول شاعرنا:

سيف العدوان قد استشرى ليدك الحق وأعوانه

حرب القرآن له أمست هدفا ما أنكى طغيانه

ستُصَدّ مطامعه الكبرى ويصون إلهي قرآنه(٣)

فمهما تفشى العدوان وتسلّط على الحق، ومهما تطاول الطغيان على المقدسات حتى أعلنها حربا على القرآن، فإنه لن يصل إلى مآربه؛ لأن الله تعالى تكفل بحفظ كتابه، وعند ذلك سيهيئ سبحانه

(١) الديوان ٦٩

(٢) الديوان ٧٢

(٣) الديوان ٧٣

من يتصدى لهذا العدوان ويصد مطامعه، ولم يذكر الشاعر الفاعل هنا، بل أتى بالفعل (تُصدّ) مغيّر الصيغة، وأناب المفعول عن الفاعل ليزيل القنوط الذي يفرضه الواقع المشاهد بسبب استشراء العدوان ونكاية الطغيان، وعدم ظهور من يقف في وجهه، فببناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل وربط الأمر بالله سبحانه يتبدد هذا القنوط، وينبثق أملٌ أن الله سيبرز من الخفاء إلى العلن جنودا هم الآن غير معروفين، ويبارك في جهودهم التي يبذلونها؛ ليكونوا هم الفاعلين لهذا الأمر الذي سيتم لا محالة.

ويبلغ هذا التركيب مداه عند الشاعر في قصيدته (سراييفو والجراح النازفة)، حيث استخدمه أكثر من عشرين مرة في هذه القصيدة، فمن ذلك قوله:

وأين همو إذا بُقِرَت بطون وسيم العِرْض واقْتُرِفَ الحرام(١)

فهذه الجرائم التي ارتكبت في حق أهل سراييفو على بشاعتها من الكثرة بحيث لا يمكن إحصاء فاعليها فضلا عن معرفة أعيانهم، فحذف الشاعر الفاعل وأناب المفعول به للدلالة على ذلك، ويأتي الشاعر مرة أخرى بالفعل الذي لم يُسَمَّ فاعله ولكن بصيغة المضارع فيقول:

أنرضى أن تهان بها نفوس على مضض تُمَزَّق أو تسام(٢)

ليدلل على الرفض القاطع لهذه الأمور أيا كان فاعلها؛ ولذلك اكتفى بالفعل، ولم يذكر الفاعل.

ثالثا: حذف المفعول به:

الفعل في العربية قد يكتفي برفع الفاعل ولا يتعدى بنفسه إلى لفظ آخر، وهذا هو الفعل اللازم، وقد يتعدى الفاعلَ وينصب مفعولا به فيكون فعلا متعديا(٣)، فإن لم يكن من وظيفة الفعل اللازم أن ينصب مفعولا به فإن الفعل المتعدي بعكسه، وبناء على ذلك فإن مجيء الفعل المتعدي في جملة دون مجيء المفعول به دليل على أن هنالك مفعولا محذوفا، وهذا من الحذف الجائز الذي يسوغ(٤)، ويبقى علينا بعد ذلك أن نقدر مفعولا به مناسبا للسياق الذي حذف فيه، وأن نستنبط الدلالة التي قصد إليها المتكلم بهذا الحذف، وعلى نماذج منه في ديوان شاعرنا سيكون تسليط الضوء، فمن ذلك قوله في قصيدة (واحة الأحلام):

---

(١) الديوان ١٤٨

(٢) الديوان ١٤٩

(٣) انظر: الكتاب: عمرو بن عثمان الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م (١/ ٣٤-٣٣)، الأصول في النحو: أبو بكر ابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت (١/ ١٦٩)

(٤) انظر: المفصل في صنعة الإعراب: جار الله الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٧٩، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: أبو حيان الأندلسي، المحقق: حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى (٧/ ٥٥)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية- مصر، د. ت. (٢/ ١١)

إذا برقت تخلب الناظرين وتسلب إن هي لم تبرق(١)

فالفعل (تسلب) معطوف على الفعل (تخلب) قبله، وكلا الفعلين متعد إلى مفعولين، وقد ذكر الشاعر المفعول الأول لـ(تخلب) واكتفى به عن ذكر الثاني، في حين حذف كلا المفعولين من الفعل المعطوف (تسلب)، وهنا نلحظ أنّ الشاعر أراد أن يطابق بين دلالة الأبيات وبين قصيدته التي هي واحة أحلامه، فاكتفى بذكر ما لا بد منه من هذه المفاعيل، وحذف ما أتاح له النظام النحوي حذفه؛ لتتسع دائرة دلالة هذه الأفعال باتساع تقدير المفاعيل المعمولة لها، فلما كان ذكر المفعول الأول من الفعل الأول دليلا على المفعول الثاني اكتفى به عنه، ولما كانت هذه الجملة ومتعلقاتها دليلا على الجملة التي عطفت عليها اكتفى بذلك عن التصريح بمفعولي الجملة الثانية، وأطلق لذهن المستمع عنانه ليقدر المفعول الثاني من الجملة الأولى، ومفعولي الجملة الثانية بكل ما يمكن تقديره مما يتناسب مع هذا السياق ولا يخرج عنه.

ويعود بنا الشاعر مرة أخرى في خاتمة هذه القصيدة وآخر أبياتها ليحذف المفعول به في قوله:

فإما تجرعتُ صاب السقوط وإما ترشفتُ شهد الرُّقي

وهذا بأمر الخبير القدير وما بيديَّ أفي أو أقي(٢)

فقد أعطى لنفسه سعة تساعده على أداء المعنى الذي أراد إيصاله دون أن يمس بوزن قصيدته وقافيتها، إضافة إلى ما يتيحه للقارئ من التفاعل مع أبيات القصيدة بتقدير الجار والمجرور المناسب مع الفعل اللازم (أفي)، والمفعول والمتعلقات الأخرى مع الفعل المتعدي (أقي)، فهو في آخر واحة أحلامه ختم بهذين البيتين وذكر فيهما حقيقتين، الحقيقة الأولى أن أحلامه إما أن تتحقق فيسعد بارتقائه إلى ما يصبو إليه، وكأنه بذلك يرتشف الشهد، وإما أن تخيب آماله فيتجرع المرارة، والحقيقة الأخرى هي أنه متوكل على الله تعالى فيما يؤمله ويرجو تحققه، ويعلم أن ذلك كله بيد الله تعالى، وإنما هو يسعى لتحقيق ذلك، وليس بيده أن يفي بتلك الأمور التي ذكرها في هذه القصيدة، كما أنه ليس بيده أن يقي نفسه مما يكره من الإخفاق فيها، وقد نجح الشاعر في اختزال هذه المعاني في شطر البيت الثاني عندما وظف الحذف في هذين الفعلين، وجعل تقديرهما يملأ له هذه المساحة.

ويتكرر حذف المفعول عند شاعرنا في (قصيدة بين يديك)، ففي القسم الذي أطلق عليه (الشعر قنديل) يتحدث عن دور الشعر في إظهار الحق والدعوة إليه، فيقول:

والشعر حسام مسلول يوهي العدوان وشيطانه

لكن الشعر لوى فمه وتنكب يشهر إذعانه(٣)

(١) الديوان ٦٠

(٢) الديوان ٦٢

(٣) الديوان ٧٣

حيث إن الفعل (تنكب) فعل متعدٍّ، والشاعر هنا لم يذكر له مفعولا به، والمفعول الذي يذكر عادة عقب الفعل (تنكب) هو الطريق، فيكثر استخدام عبارة (تنكب فلان الطريق) حتى غديا كأنهما متلازمان، فإذا قرع السمع الفعل (تنكب) تبادر للذهن لفظ الطريق مفعولا به له، وكأنه من تتمة جملته، ولعل الشاعر استغل هذه الدلالة التلازمية ليملأ المكان الذي شغر بعد حذف المفعول المعلوم بما يتمم فكرته.

وفي موضع آخر من هذه القصيدة تحت عنوان (سياحة في الديوان) يقول:

سكب الألحان ينابيعا فنمت أشجار فتانه

غناء بها قلبي غنّى بالفرحة يرمق نيسانه(١)

فالفعل (غنّى) يتعدى بنفسه إلى المفعول به، وهذا المفعول إن حذف فلن يجد المستمع صعوبة في تقديره بلفظ (أغنية) المتناسبة مع الفعل (غنّى)، خاصة وهو في هذا الجو المفعم بالفرحة، والذي تنسكب فيه الألحان، وتنمو الأشجار الغناء، فهو جو غنائي من كل أطرافه، والشاعر في هذه القصيدة ذات الأشطر القصيرة، والتفعيلات المتسارعة بحاجة إلى حذف ما يمكن حذفه؛ ليوجد لنفسه مساحة تسعفه في إكمال الصور التي يرسمها.

ويستمر الشاعر حتى آخر القصيدة في استثمار ما يمكن استثماره من الحذف الجائز ليوسع من المساحة المتاحة له في أشطرها القصيرة، فيحذف المفعول الأول للفعل (أهدى) في قوله:

يا مبدع هذا الشعر لقد أحسنت لنشرك ديوانه

أهديت عصارة أفكار توحي للملهم أوزانه(٢)

ونلحظ أيضا أنه كما حذف مفعول (أهدى) في هذا البيت، فقد حذف متعلق الفعل (أحسن) في البيت الذي قبله؛ ليدلل على عموم ذلك الإحسان، كما دلل هنا على عموم هذا الإهداء، ولم تكن هذه الدلالة لتفهم لولا حذف إلى ومجرورها المتعلق بـ(أحسن)، وحذف المفعول الأول لـ(أهدى).

ونجد هذا التركيب النحوي المشتمل على فعل متعدٍّ حذف مفعوله أيضا في قصيدة (جهاد وربيع) عندما يبين عداوة الغرب المستمرة لهذه الأمة، ومحاولاتهم إفساد نشئها بقوله:

فالغرب قد دس الزعاف لنشئنا ليصد عن سبل السلام صدودا(٣)

ولأن النشء هم الأمة؛ إذ هم أطفال اليوم، ورجال الغد، وبناة المستقبل، لم يذكر الشاعر المفعول به للفعل (يصد) فلم يقل ليصدهم؛ لأن ذلك سيقيد الفعل (يصد) بهم، فكأن الصدّ قاصر عليهم، بينما يدل الحذف على ما هو أبعد من ذلك؛ إذ يجعل الصدّ مفتوحا لهم ولغيرهم؛ لأنهم جيل صاعد،

(١) الديوان ٧٥

(٢) الديوان ٧٦

(٣) الديوان ٨٥

فسيكون تأثرهم أبلغ من غيرهم، وقد يظل هذا التأثير معهم طيلة مسيرة حياتهم، بل وقد ينتقل منهم إلى من دونهم ممن سيكونون هم المربين لهم والموجهين لأفكارهم.

وبذلك استطاع الشاعر أن يفيد مما أتاحه له نظام اللغة من حذف المفعول به، ليحمل كلامه كل هذه الدلالات، بعبارة موجزة، لا تخرج عن الوزن الشعري الذي أتاحته له القصيدة بنظامها الصارم.

خاتمة:

وبعد الدراسة الوصفية التحليلية للحذف في ديوان (البحر والضفاف) للشاعر يوسف أبو سعد ، فأشير إلى مجمل النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة فيما يأتي:

- استعان الشاعر بالحذف في كثير من المواضع ليبرز المعاني التي أرادها، مع المحافظة على وزن الأبيات التي وقع فيها الحذف.
- أكثر الشاعر من حذف المبتدأ إذا كان معلوما من السياق، أو دل عليه دليل.
- تعدد حذف الشاعر للخبر، في حالة الجواز إذا وجد ما يدل عليه، وفي حالة الوجوب بعد (لولا).
- اتخذ حذف الفعل عند الشاعر أنماطا نحوية ثلاثة؛ إذ حذفه وجوبا قبل الفاعل الواقع بعد (إذا)، ومع مصدره النائب عنه، وجوازا حين دل عليه السياق.
- استخدم الشاعر صيغة الفعل الذي لم يسمّ فاعله، وأناب عن الفاعل بعد حذفه؛ لدلالات أراد إيصالها بما يتناسب مع سياق الأبيات التي وقع فيها ذلك.
- جاء الشاعر بالفعل المتعدي لمفعول واحد دون أن يذكر فاعله، وبالفعل المتعدي لمفعولين مع حذفهما أو حذف أحدهما لتتسع دائرة دلالة تلك الأفعال باتساع دائرة تقدير المفاعيل المحذوفة المعمولة لها.
- **توصية** : يؤكد البحث أن هذا الديوان –وبقية الأعمال الشعرية العشرة الأخرى للشاعر يوسف أبو سعد– جديرة بأن تدرس ظواهرها اللغوية والتركيبية، وأنها لم تأخذ حقها اللائق بها من ذلك، ويوصي الباحثين بدراستها، فهي مادة خصبة للدراسة.

المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك: برهان الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٦٧ هـ)، المحقق: محمد السهلي، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م
- الأصول في النحو: أبو بكر ابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، د. ت.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: أبو البركات كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: عبدالله بن يوسف ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل: أبو حيان الأندلسي، المحقق: حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (المتوفى : ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م
- دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م
- ديوان البحر والضفاف: يوسف بن عبداللطيف أبو سعد، مطابع الابتكار- الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي الأُشموني (المتوفى: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م
- شرح تسهيل الفوائد: محمد ابن مالك الطائي الجياني، (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ -١٩٩٠م)
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: شمس الدين الجَوجَري (المتوفى: ٨٨٩هـ)، المحقق: نواف الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، الطبعة العشرون ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م
- شرح قطر الندى وبل الصدى: عبد الله بن يوسف ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ
- شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

- شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف: عبد الرحمن بن علي المكودي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: بدر الدين محمد ابن جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م
- الكتاب: عمرو بن عثمان الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م
- اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الإله النبهان، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: نصر الله بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ
- المفصل في صنعة الإعراب: جار الله الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م
- المقتضب: محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب- بيروت، د. ت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية- مصر، د. ت.

الرسائل الجامعية والبحوث العلمية:

- الاتجاه الرومانسي في شعر يوسف بن عبداللطيف أبي سعد: فوزية الرويشد، رسالة ماجستير في جامعة الملك فيصل، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
- حذف الفاعل واستتاره بين التنظير والواقع الاستعمالي، د. خالد بسندي، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٠هـ